الادمان وانعكاساته على الفرد والمجتمع

يذكر مصطفى سويف أن أول ما يلفت النظر في موضوع العوامل النفسية المساهمة في الإدمان على المخدرات مسألة " الإيجابية" أو "السلبية" التي تتسم بها الخطوات الأولى للمتعاطي عند إقدامه على تناول هذه المادة أو تلك، والمقصود بالإيجابية هنا اعتراف المدمن بأنه هو نفسه كان له دور ايجابي قبل البدء الفعلي للتعاطي، بمعنى أنه كان لديه نوع من حب الاستطلاع يدفعه دفعا على ارتياد هذه الخبرة لاستكشاف حقيقتها، أو أنه كانت لديه الرغبة في معاندة الكبار بأي شكل من الأشكال بما في ذلك خوض خبرات التعاطي، أما مصطلح "السلبية" فالمقصود به شعور المتعاطي بأنه بدأ مسيرته في طريق التعاطي والإدمان تحت ضغط الغير من المحيطين به، أي كانت طبيعة هذا الضغط بالترغيب أو الترهيب (مصطفى سويف، 1996، ص62).

كما يذكر بعض الباحثين أن لشخصية المدمن تأثير كبير في تعاطي المخدرات والإدمان عليها، فالشخصية الضعيفة أو غير المكتملة تبدو منها سلوكيات منحرفة قد تتمثل هذه السلوكيات في تعاطي أنواع معينة من المخدرات، ويعتقد "جيلينيك E.Jellinik" بأن الإدمان هو عدم تكامل بناء شخصية الفرد حيث يكون الشخص غير مهيأ لحل المشاكل التي تواجهه في الحياة بصورة طبيعية، ويذهب "جيلينيك" على أن شخصية الفرد كلما ضعفت كلما زاد من اتجاهه إلى التعاطي والإدمان، حيث يجد الراحة النفسية والنسيان لتلك المشاكل، ويقصد بالشخصية الضعيفة وجود قصور مرضي في جانب أو أكثر من جوانب الشخصية, الجانب البدني أو النفسي أو العقلي (عبد العزيز بن عبد الله البريثن، 2002، ص93).

ويشير بعض الباحثين والمختصين في هذا الصدد إلى وجود الشخصية الإدمانية حيث حاول أصحاب هذا الرأي إثبات وجود أنواع معينة من الشخصيات أو سمات خاصة في الأفراد الذين يصابون بالإدمان، وأن هذا النوع من الشخصية نادر بين الناس بصورة عامة، ولم يتوصل الباحثون حتى الآن إلى إثبات وجود مثل هذا النوع من الشخصية.

أما فيما يتعلق ببعض السمات التي تظهر على شخصية الأفراد المدمنين فقد استطاع الباحثون التوصل إلى جزء من هذه السمات عن طريق أسلوب التحليل النفسي، ووصف الشخصية وفق المنهج المتعلق بالطب النفسي، والاختبارات النفسية، ودراسة شخصيات مجموعات من الأطفال على مدار السنين، ثم مقارنة من يدمن منهم عند البلوغ بغير المدمن منهم.

ويتلخص رأي التحليل النفسي حول الموضوع في الآتي:

أن إدمان الخمر والعقاقير وسيلة علاج ذاتي يلجأ إليها الشخص لإشباع حاجات طفلية لا شعورية، كما أن نمو المدمن النفسي الجنسي مضطرب لتثبيت الطاقة الغريزية في منطقة الفم، وعندما ينمو الطفل ويكبر تظهر على شخصيته صفات التثبيت ومنها:

_ السلبية، الاتكالية، وعدم القدرة على تحمل التوتر النفسي، والألم، والإحباط، أي عدم نضوج الشخصية بصورة عامة، ويرى آخرون من هذه المدرسة أن لدى المدمن الاستعداد لحل مشاكله باستخدام المواد التي تؤثر على الانفعال، وأن هذا الاستعمال هو في واقع الأمر بديل للخبرات الجنسية الطبيعية في الشخص العادي، ويعزو "نايت KNIGHT" التثبيت الفمي إلى تدليل الأم لطفلها، ومحاولتها حمايته من أب قاس متناقض مع نفسه في تصرفاته، وتصنيفات الطب النفسي للشخصية الإدمانية كثيرة أهمها تصنيف "كيسيل وولتون KESSEL AND WALTON" اللذين قسماها إلى :

_ غير الناضج: الذي لا يستطيع الاعتماد على نفسه والاستقلال بنفسه عن الأبوين، ويعجز عن التكوين علاقات ثابتة وهادفة مع الأشخاص الآخرين.

_ منغمس في الذات: الذي يصر على تحقيق ما يريده فورا وإشباع رغباته في الحال، ولا يستطيع الصبر أو التأجيل لنيل ما يريده إلى استمرار هذه السمات الطفلية في شخصيته بعد كبره.

_ المعتل جنسيا: يعاني هذا النوع من ضعف الدافع الجنسي أو الخجل الشديد من الجنس أو الشذوذ الجنسي وخاصة الجنسية المثلية، وقد أشار أنصار مدرسة التحليل النفسي إلى الطابع الجنسي المثلى للحانة حيث مجتمع الذكور مع بعضهم لشرب الخمر، وفسروا عدم ممارستهم للشذوذ الجنسي بان ميولهم نحو هذا الاتجاه كامنة فقط، ويرفض الإنسان عادة أفكاره الجنسية الشاذة فيخدرها بالخمر أو العقاقير، أو يزيل الموانع وضوابط هذه الأفكار الاجتماعية والأخلاقية بتعاطي هذه المواد ليمارس الجنس الشاذ فعلا.

_ عقابي الذات: تتكون هذه الشخصية نتيجة لأسلوب في التربية، يعاقب الطفل عند إظهار الاستياء أو الغضب المشروع, وعندما يكبر الطفل يشعر بالقلق الشديد عند إحساسه بالرغبة في التعبير عن الغضب في موقف يتطلب ذلك، فيلجأ إلى الخمر والمخدرات لتخفيف القلق حتى يعبر عن غضبه بطريقة عنيفة في بعض الأحيان.

_الشخصية المكروبة STRESSED: وهي شخصية قلقة ومتوترة تلجأ للمسكرات والعقاقير لتسكين القلق، الأمر الذي يؤدي تكراره إلى الإدمان، وتتلخص السمات الموجودة في الشخصيات التي تتجه إلى الإدمان فيما يلي: التركيز على اللذة عن طريق الفم، عدم النضوج الجنسي، الميل إلى تدمير الذات، العداء والاكتئاب، ومما يؤدي ذلك انتشار استخدام مشتقات الأفيون بين المراهقين الذكور، لأن الأفيون مادة فعالة في تسكين المشاعر الجنسية والعدوانية التي يعاني منها كثير من هؤلاء المراهقين (عبد العزيز بن عبد الله البريثن، 2002، ص37)